محاولة إقصاء الإسلام

لأخ مسلم من بلاد الشام

قرأنا بعض ما كتب في الصحف والمجلات المصرية عن مشروع قانون الأحزاب المعروض على اللجنة التـــشريعية لمجلس الشعب ، والمقدم من حزب مصر (حزب الوسط !) ، والذي تقول الفقرة الثالثة من مادته الرابعة بِعَدَمِ قيـــام حزب على أساسٍ من التفرقة بسبب العقيدة الدينية

وسمعنا ما قاله السيد رئيس الجمهورية في إحدى خطبه القريبة العهد : (لن أسمح أبداً بقيام حزب سياسيٍّ علـــى أساس ديني)

قرأنا ذلك وسمعناه فرأينا فيه مع الأسف صورة متكررة لمحاولة إقصاء الإسلام وحبسه في بعض الشعارات والمظاهر السطحية والمجالات المحدودة

ومحاولةُ إقصاء الإسلام قد تكون بالقوة المتحكمة المكشوفة كما نرى ذلك في كثير من الدول العربية والإسلامية، أو بالقوة المتحكمة المقنعة بقناع الديمقراطية الظاهرية .. وليس ثمة ديمقراطية حقيقية

ولقد ذكرتني المحاولة الجارية في مصر الآن بمحاولة مشابهة في سورية سنة ١٩٦٢م عندما صدر مرسوم تـــشريعي لقانون الأحزاب يشترط في الحزب ألا يحمل اسماً يرمز إلى مذهبٍ ديني

وكانت تتولى الحكم آنذاك حكومة يهيمن عليها الشيوعيون والاشتراكيون ، ويـــساندها العـــسكريون الـــذين يمسكون بزمام الأمور في الجيش

وقد تصدى الأخ عصام العطار الذي كان يقود حركة الشعب في سورية في ذلك الحين من أجل الحرية والحيـــاة الدستورية وإقامة الحياة الإسلاميّة والحكم الإسلاميّ .. تصدى لقانون الأحزاب المذكور ووجّه للحكومـــة القائمـــة استجواباً وإنذاراً علنيّاً تناقلته وكالات الأنباء المحلية والعالمية

كان الإنذار يوم الجمعة ٢٤ صفر ١٨٣٢هـ الموافق لـ ٢٧ تموز/آب ١٩٦٢م ، وكان تراجع الحكومة يوم السبت ٢٥ صفر (أي بعد يوم واحد من الإنذار) عقب لقاءات بين الأخ العطار وبين رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء وكبار المسؤولين ، واستعداد الشعب من أقصاه إلى أقصاه للتحرك بالشكل الذي يطلبه الأخ العطار

وأنا أورد هنا جانباً من هذا الاستجواب والإنذار التاريخي ليرى القراء من خلاله التشابه بين الماضي والحاضـــر ، وبين اليسار واليمين و(الوسط !!) والشرق والغرب في محاولة إقصاء الإسلام :

(لقد استلفتني في المرسوم التشريعي لقانون الأحزاب عدة أمور لا أحب أن أقف عندها الآن ، ولكنني لا أستطيع إلاّ أن أقف عند ظاهرة لها دلالتها ؛ وهي أن هذه الحكومة لا تقيم وزناً لعقائد الأمة وقيمها ، بل إنها تحمل في نفسها -شيئاً ما- لهذه العقائد والقيم ، فهي لا تنص على أي شيء يمنع قيام أحزاب تناقض عقائد الأمة وأخلاقها ، وهـــي من الجهة الثانية تشترط في الحزب ألا يحمل اسماً يرمز إلى مذهب ديني ، وتورد في بعض المواد الأخرى ما يفهم منـــه محاربتها لدين الأمة .. ولكنني لا أحب أن أتعجل في هذا الموضوع الخطير ، فلعل الحكومة لم تحسن الإفـــصاح عـــن القصد ، ولعلي أخطأت في فهم كلامها المتسم باللف والدوران والغموض ، ولذلك فإنني أريد أن أســـأل الحكومـــة بكل صراحة ووضوح هذا السؤال العلني المكشوف :

هل تريد الحكومة أن تقول إنها تسمح بالعمل الحزبي على أساس الشيوعية ، وعلى أساس الاشـــتراكية ، وعلـــى أساس الرأسمالية ، وعلى كل أساس ، ولكنها لا تسمح للشعب بأن يعمل في المجال السياسي على أســـاس الإســـلام الذي يؤمن به عقيدة وشريعة وقيماً يريد أن تسود ؟! وهل تهدف الحكومة من وراء ذلك إلى إقصاء الإسلام ؟!

إنني سأنتظر جواب الحكومة إلى يوم الأحد ، قبل أن أقول الكلمة التي تضع النقاط على الحروف ، وتكشف مـــا قد خفي من الحقائق ، وترد الباطل وأهل الباطل إلى المكان الذي يجب أن يردوا إليه ..

وأنا أحب أن أقول للحكومة قبل أن أسمع جوابها :

الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها ، فلا تفتحي باب الشر ، ولا تتعمدي الإساءة إلى هذه البلاد .. واتركـــي هـــذه القضايا الكبيرة إلى الشعب يقررها ممثلوه الشرعيون الذين يعرفون من إيمانه وقيمة عقيدته عنده ما لا تعرفين .. فدون ما تهدفين إليه ما تَنْبَهِرُ منه الأنفاس وتزول الكراسي تحت ألف حكومة وحكومة .. ولا تبلغ بعد ذلك ما تريد .

وأخيراً أحب أن أقول :

إنني لا أخاف على الإسلام ، فالإسلام راسخ عزيز في هذا البلد ، يعتقده المسلم ديناً منـــزلاً من السماء ، ويعتز به النصراني تراثاً خالداً يرفع الرأس ، ويفتديه الجميع بالمهج والأرواح ..

ولكنني أشفق على حكومة تفكر بمثل هذا التفكير ، وعلى بلاد تمسك زمامها هـــذه الحكومـــة في مثـــل هـــذه الظروف) .

تراجعت الحكومة عن قانون الأحزاب ثم اضطرت إلى الاستقالة والرحيل . ومرَّ زمن ، وتلاقت على حرب الأخ العطار القوى الخارجية والداخلية المحاربة للإسلام والمستغلة للإسلام .. فإذا به مشرَّد في الأرض قد أغلقت في وجهه الحدود ، وحيل بينه وبين دخول البلاد ، وإذا بإقصاء الإسلام في هذا المجال وفي غير هذا المجال يتحقق عمليّاً ونظريّـاً بأيدٍ أخرى وأسماء أخرى ووسائل أخرى ..

ولم يكن الأمر أمر سورية وحدها ، ولا أمر هذه الدولة من دول العالم الإسلاميّ أو تلك الدولة فقط .. إنه أمـــر شامل ، وحرب صليبية شرقية وغربية ، خارجية وداخلية

ولكننا لن نتخلّى عن رسالتنا بحال من الأحوال ، ولن نترك أمتنا وبلادنا للعبودية والضياع والهلاك

سنجاهد لإنقاذ أمتنا وبلادنا بالإسلام ، وسنجاهد لإقامة الحياة الإسلاميّة والحكم الإسلاميّ على كل صعيد

إنّ الإسلام هو شريعة الله .. وهل هناك ما هو أقوم من شريعة الله ؟!

إنّ الإسلام هو طريقنا إلى الحرية والعدالة والكرامة والتقدم

إنّ الإسلام هو طريقنا إلى استرجاع الأرض السليبة والانتصار على العدو في مختلف الميادين

إنّ الإسلام هو طريقنا لإنقاذ بلادنا من المذاهب الهدامة والدمار ، ومن الخضوع للشرق والغرب

إنّ الإسلام هو طريقنا لِتَخْلِيَة أنفسنا ومجتمعنا من الأفكار والعقائد والمفاسد والآفات التي نشتكيها ، وتَحْلِيَتِهـــا بالفضائل التي ننشدها ولا نجد إليها الأسباب

إنّ الإسلام هو طريقنا وطريق البشر كلهم معنا للخلاص ولخير الدنيا والآخرة إن استجبنا لدعوته وعملنا بهديه

فهل يستجيب بعض حكامنا لدعوة الإسلام استجابة القلب لا استجابة اللسان ، واستجابة العمـــل لا اســـتجابة الكلام ، ويسلكون بأنفسهم وبلادهم صادقين طريق الإسلام كما أنزله الله عزَّ وجلَّ .. فيـــدفعون بالإســـلام عـــن أنفسهم وأمتهم الكارثة ويحققون به لها الفوز

يا أيها الحكام لا تغتروا بسلطانكم ، ولا تخدعنّكم الأوهام ، ولا تنحرف بكم مؤثرات الضلال عـــن الطريـــق القويم ، ولا تغب عن أذهانكم ولا قلوبكم هذه الحقيقة البيّنة :

إنّ الله غني عنكم كلَّ الغنى ، ولكنْ أنتم الفقراء إلى الله

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۞ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [فاطر : ١٥-١٧]

وسيمضي ركب الإيمان على كل حال

سيمضي في كل مكان وكل زمان مهما يقم في وجهه من عقبات

سيمضي هذا الركب –سواء استجبتم أم أعرضتم– حتى يبلغ غايته المقدورة ، ويتحقق ما كتبه الله له من النصر

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة : ٢١]

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٧١-١٧٣]